محاضرة

أثر العلم الشرعي
في
تعزيز الأمن الفكري

من أمالي معالي الوزير

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وفقه الله

النُّسخة الإلكترونيَّة الأولى

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين.

والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فأشكر لكل من ساهم في حضوري إلى هذه الجامعة الَّتي يُمثِّلها العديد مِن قادة العِلم والفِكر والتَّربية لأبنائنا وبناتنا في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة وفي العالَم الإسلاميِّ بأجمع.

مسرورٌ أنْ أكون بينكم، وأُسدي شُكري لأخي الكريم معالي رئيس الجامعة الدُّكتور عدنان بن سالم الحمَيدان على دعوته الكريمة لي أنْ أشارك في هذا اللِّقاء مع أعضاء هيئة التَّدريس، ومنَسوبي الجامعة، والطُّلَّاب والطَّالبات.

كما أنِّي أشكر لأخي الدُّكتور ماجد السُّلَميِّ – المُشرِف على وحدة التَّوعية الفِكْريَّة في جامعة جِدَّة – على متابعته وحِرْصه على إتمام هذا اللِّقاء على أكمل وجه.

ولأخي المُقدِّم منِّي الشُّكر والتَّقدير.

أيُّها الإخوة؛ اختارت هذه الجامعة هذا العنوان (أثر العِلم الشَّرعيِّ على الأمن الفِكريِّ).

ولا شكَّ أنَّ الأمن الفِكْريَّ مَطلبٌ عظيم مِن المطالب الدِّينيَّة والدُّنيويَّة؛ لأنَّ الأمن الفِكريَّ يُمثِّل السَّلام الشَّامل الَّذي يَغشى النَّفْس، يَغشى المفرد (يَغشَى الإنسان في نفسه)، ويَغشى الأُسرة، ويكون في المجتمع في كلِّ بيئات المجتمع؛ في البيئات التَّعليميَّة، وفي المحاضن التَّعليميَّة، وفي بيئات العمل، وفي تَحرُّكات المجتمع، وفي علاقة الأفراد بعضهم ببعض.

الأمن الفِكْريُّ موضوعٌ مهمٌّ.

الأمن الفِكْريُّ له اهتمام خاصٌّ في كلِّ الَّذين يعتنون بقُوَّة المجتمعات.

المجتمعات المُنتِجة في العبادة والقُرب مِن الله جَلَّوَعَلَا، الإيجابيَّة مع ربِّها جَلَّجَلَالُهُ، المُتعبِّدة لله، ثمَّ المُنتِجة للمجتمع، لفائدة المجتمع بأنواع التَّأثير والإنتاج؛ سواء في سوق العمل الإنتاجيِّ، أو في التَّربية، أو التِّجاريَّة، أو السِّياسيَّة، أو الإعلاميَّة، إلى آخِره.

هذه كلُّه لا بدَّ فيها مِن فِكرٍ آمِن (يعني مِن أَمْنٍ فِكْريٍّ)؛ حتَّى تكون الطَّاقة متجدِّدة ومُنتِجة بدون مُنغِّصات؛ لذلك اختيار هذا الموضوع جميل.

وأهل الاختصاص يُعرِّفون (الأمن الفكريّ).

و(الأمن) متنوِّع؛ **فمنه** وأحد عناصره: الأمن الفِكريُّ.

الأمن الفِكريّ هو حالة السَّلام والاطمئنان الَّتي تكون في قلب الفرد أو عقله، والَّتي تكون في أعضاء وأفراد الأُسرة، والَّتي تكون في أفراد المجتمع في علاقاتهم ببعضهم لبعض، وفي علاقاتهم بدولتهم، وفي علاقاتهم بمصالحهم.

حالة الاطمئنان هذه الَّتي لا يكون معها منازعات عاطفيَّة – أي على مصالح الفرد في حياته –، ولا يكون معها تشويش عقليّ وقلق – أي في مصالح الفرد في نفسه –: حالة الطُّمأنينة هذه تُسمَّى (أمن فِكري).

وهي حالة السَّلام الَّتي أراد الله جَلَّوَعَلَا أنْ تكون بين النَّاس.

لذلك؛ شعار الإسلام في العلاقات بين الأفراد الَّذين يُمثِّلون المجتمع، ويُمثِّلون في مجموعهم الأرض، ويُمثِّلون في مجموعهم الدَّولة: العلاقة بينهم: (السَّلام عليكم).

يعني «**أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم**»؛ كما قال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ يعني أنْ تكون العلاقة بينكم هي علاقة سِلْم وسلام، أي علاقة طمأنينة.

علاقة الطُّمأنينة بين الأفراد، علاقة الطُّمأنينة في الأُسرة، علاقة الطُّمأنينة بين الأفراد والمجتمع، بين الأُسرة والأُسرة في الارتباطات الأُسريَّة والقَبَليَّة.. إلى آخِره: تحتاج إلى خطوة قبلها؛ وهي سلامة القلب (سلامة العاطفة)، وسلامة العقل مِن أنْ يُؤثَّر عليها بما يَنزع هذه الطُّمأنينة.

لذلك؛ نرى أنَّ هذا الموضوع حسَّاس ومهمٌّ، وهو ليس موضوعًا شرعيًّا فقط؛ بل هو موضوع له صِلَة وثيقة بحياة النَّاس، وبسعادة النَّاس، وبالسِّلم الاجتماعيِّ، وبسلام النَّاس، وبعلاقة الإنسان بربِّه ثمَّ بالإنتاج العامِّ.

حالة السَّلام والطُّمأنينة وحالة الأمن الفكري إذا كَمُلت تُنتِج مواقف إيجابيَّة.

فلماذا الاهتمام بهذا الموضوع؟

لأنَّ نتيجة الأمن الفِكريِّ، السَّلام الفِكريِّ، السَّلام القَلبيِّ، السَّلام العقليِّ: أنْ يُنتِج مواقف إيجابيَّة.

(الإيجابيَّة) كلمة عصريَّة في عِلم الاجتماع، وفي الدَّعوة، لكن معناها: أنْ يكون مُؤثِّرًا التَّأثير الصَّالح؛ الَّذي يجلبه لنفسه ويجلبه للآخَرين.

لـــذلك قـــال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة:٢].

البِرُّ والتَّقوى تُنتِج الطُّمأنينة، وتُنتِج الأمن بأنواعها.

والعـدوان على الإنسـان في عقلـه، العـدوان على الإنسـان في نفسـه، في مشـاعره، في حقوقه: يُنتِج حالة مِن عدم السَّلام وعدم الطُّمأنينة، أي عدم الأمن بأنواعـه؛ الَّـذي منهـا: الأمن الفِكري.

الأصـل في (الأمـن) بأنواعـه – الَّـذي منـه: الأمـن الفِكـريّ –: هـو قـول الله جَلَّوَعَلَا في سـورة الأنعـام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

فالَّـذي يبحـث عـن الأمـن لـه طريـق؛ فبـيَّن الله جَلَّوَعَلَا أنَّ طريقـه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]؛ **ففي الآية: سبب، ونتيجة:**

السَّبب: هو الإيمان وعدم الظُّلم، الإيمان وتَرْك الظُّلم، الإيمـان الَّـذي لا يُبلَى بسـوء ظُلم.

والنَّتيجة: الأمن والهداية.

الظُّلم مُنوَّع متنوِّع، والإيمان درجات؛ فما دام هذا هو السَّبب سينتج عنـه بالضَّـرورة: أنْ يكون الأمن والهداية متنوِّعة ودرجات.

لأنَّ الشَّيء إذا اعتمد على غيره اعتماد الأسباب لنتائجها، واعتماد المعلولات لعِللها = فإنَّه يتوقَّف الثَّاني على الأوَّل، تتوقَّف النَّتيجة على المُقدِّمة.

(الإيمان) معروف واضح بَيِّن، لا نُطيل الكلام فيه؛ لأنَّه ليس هو موطن الاهتمام في المحاضرة.

لكن (الظُّلم) ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]: قال أهل العلم:

* إنَّ الظُّلم يكون في حقِّ الله جَلَّوَعَلَا بأنْ تسلب الله جَلَّوَعَلَا حقَّه، أو لا تُعطيه حقَّه بالاعتراف له بالوحدانيَّة في ذاته، في صفاته، في توحيد الرُّبوبيَّة، وأنَّه هو المُدبِّر لكلِّ شيءٍ، والخالق لكلِّ شيء، وأنَّه هو المستحقُّ للعبادة وحده دون ما سواه، دون البشر والآلهة والأوضاع والأحوال والكيانات (توحيد الإلهيَّة)، وأنَّه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الواحد في أسمائه وصفاته.

* ثانيًا: الظُّلم في حقِّ الرِّسالة (رسالة النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ): فهو جاء ليُتمَّ علينا النِّعمة.

ما هي النَّعمة الَّتي أتمَّها الله جَلَّوَعَلَا علينا بإرسال محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟

هي نعمة الإيمان، ونعمة الأُخوَّة، فالعلاقة بين النَّاس علاقة أُخوَّة؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٠].

فالعلاقة بين المؤمنين بأجمعهم: علاقة أُخوَّة، ليست الأُخوَّة في الإسلام هي علاقة أُسرة؛ إنَّما المؤمنون جميعًا إخوة؛ وهذا علوٌّ في التَّفكير وفي العلاقات الإنسانيَّة في المجتمع المسلم.

لمَّا كانت قائمة بقوَّة قَوِيت الأُمَّة وقَوِي المجتمع؛ فالعرب - الَّذين يسكنون السَّعَف وبيوت الطِّين - أزالوا مُلْك فارس والرُّوم؛ لأنَّهم جسدٌ واحد، ولأنَّ معهم فِكْر، معهم عقيدة، معهم دين، معهم ما يُصلِحون به البشريَّة.

فإذن الظُّلم في حقِّ الرِّسالة: ألَّا ترى أنَّ ما جاء به محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأكمل؛ فهو الأكمل في جميع الجوانب، حتَّى في الجوانب الحياتيَّة؛ بالمفهوم الواسع للكمال وللاجتهادات الفقهيَّة المتنوِّعة الشَّرعيَّة.

والظُّلم يقع مِن الفرد على نفسه.

ويقع الظُّلم مِن الفرد على مَن حوله وعلى مجتمعه بالاعتداء عليهم في ذواتهم، أو في أموالهم، أو في حقوقهم، والاعتداء عليهم في حُرِّياتهم، والاعتداء عليهم فيما يأمنون به في أنفسهم وفي عقولهم.. إلى آخِره.

يعني الاستعلاء على الخَلْق، فالاستعلاء على الخَلْق نوعٌ مِن الظُّلم.

الاستعلاء على الخَلْق لأجل الاستعلاء البَشريِّ على بَشَر، وليس بحقٍّ.

فإذا كان الاستعلاء بحقٍّ شرعيٍّ: فهذا له بَحْثٌ آخَر؛ يليه القُضاة، ويليه أصحاب أداء الحقوق.

وإذا استعلى فسيختل جزءٌ مِن السَّلام والطُّمأنينة والأمن.

إلى آخِر أنواع الظُّلم.

الظُّلم يكون أيضًا ظُلم مجتمع لمجتمع، ظُلم دولة لدولة، ظُلم دينٍ لدين.

لذلك كان الإسلام الدِّين الوحيد الَّذي لم يظلم أحدًا مِن أهل الأديان - الَّتي هي أديان الأنبياء والرُّسل - في عقيدتهم؛ فنحن نؤمن بجميع الأنبياء والمُرسَلين، أنبياء اليهود، ونبي النَّصارى، وأنبياء الأُمم مِن قبلنا.

فنحن نؤمن بجميع الأنبياء، لا نهضم أُمَّة في نبِيِّها.

ولكن هُم لا يعترفون لنا بنبيِّنا؛ فهُم لا يعترفون لنا بديننا؛ فاليهود لا يعترفون لنا بديننا، والنَّصارى لا يعترفون لنا بديننا، وإنْ كان بعضهم قد يعترف.

الظُّلم الواقع بين المجتمعات وبين الدُّوَل يُسبِّب حالة مِن عدم الطُّمأنينة وعدم السَّلام.

لذلك جاء في هذه الآية ترتيب الأمن على عدم الظُّلم؛ فدعانا الله جَلَّوَعَلَا: إذا أَرَدنا لنا الأمن الكامل فلنبتعد عن الظُّلم بجميع أنواعه.

الأمن النَّفسيُّ والأمن الفِكريُّ: يكون بأنْ نترك الظُّلم بأنواعه.

فإذا كان هناك ظُلم واقع فسيكون هناك بُعْد عن الأمن بقَدْره.

لهذا قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

فالأمن الفِكريُّ، أي السَّلام والطُّمأنينة الفِكريَّة والنَّفسيَّة: أساسها: ألَّا يقع بين النَّاس إلَّا السَّلام.

أساس الأمن الفِكْريِّ: ألَّا يقع بين النَّاس ظُلم.

فإذن مواجهة الظُّلم، مواجهة الاستعداء، مواجهة الاستعلاء، مواجهة التَّشويش: جزءٌ مِن أهميَّة هذا الموضوع.

الَّذي يخالِف الأمن، والسَّلام، والطُّمأنينة: الخوف، والقلق:

الخوف: يأتي للصَّدر؛ فهو موطن الخوف؛ وهو ابتلاءٌ عظيم ومرضٌ عظيم.

والقلق مِن الأشياء: يكون في الفِكر، وفي العقل.

الخوف ابتلاء مِن الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البقرة:١٥٥] الآية.

وقال جَلَّ وَعَلَا في الآية الأخرى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران:١٧٥].

الخوف صنعة.

ولذلك (الأمن) يُضادَّه (الخوف)؛ (أَمِن) و(خاف).

إذا خِفتَ لم تأمن؛ إذن إحداث الخوف في النَّاس هو سلاح لسَلْب الأمن الفِكريّ منهم، ولسَلْب الأمن العَقَديّ منهم، ولسَلْب الأمن الدِّينيّ منهم، ولسَلْب الأمن الاجتماعيّ منهم، ولسَلْب الأمن البدنِيّ في الأوطان منهم.

فإذن الأمن الفِكريُّ في تداوُله: نبحث معه (الخوف)؛ كيف يحدث الخوف؟ ومَن يُحدِث الخوف؟ وأثر إيقاع الخوف في النَّاس.

نعرف أنَّ صنيعة حروب الدُّوَل منذ القِدَم: هي الحرب النَّفسيَّة، وهي عِلم يُدرَّس الآن في الجامعات العسكريَّة؛ فنوع مِن استراتيجيَّة الحروب: أنْ تُوقِع الخوف بالأعداء أو بمَن تريد إضعافهم.

لذلك صار **الأمن الفكريّ متوجِّه إلى محورَيْن مُهمَّيْن**:

* محور داخليٌّ.

* ومحور خارجيٌّ.

الدَّاخليُّ: بيننا، وذكرنا لكم أنواع الظُّلم، وأهمِّيَّة بَثِّ السَّلام وروح الأُخوَّة.

ومحور خارجيٌّ: وهو بَثُّ الخوف مِن عدوٍّ، والحرب النَّفسيَّة.

النُّقطة الثَّالثة كفَهْم لمعنى كلمة (الأمن الفكريِّ): هو نقاط التَّأثير على الإنسان في الأمور الرُّوحية، في الأمور النَّفسيَّة والعقليَّة.

الإنسان: بدن، وروح.

صنعة البدن ميكانيكيَّة: فهو يعمل.

روح الإنسان: حتَّى يتعلَّق بها العقل (وهو آلة التَّفكير)، ويتعلَّق بها القلب والصَّدر (وهو مكان العواطف).

لذلك؛ الأمن **الفِكريُّ يحتاج في تحقيقه وفَهْمه**:

* إلى أَمْنٍ قلبيٍّ.

* وإلى أَمْنٍ عقليٍّ.

الأمن القَلبيُّ: بأنْ يكون القلب ليس فيه تَرَدُّد في عاطفته وولائه لدينه، ثمَّ ولائه لوطنه، ثمَّ ولائه لدولته، ثمَّ ولائه للكيان الَّذي مصلحته فيه أيًّا كان.

فإذا جاء الخوف ضَعُف التَّركيز، ثمَّ بعد ذلك يضعف الولاء، ثمَّ يضعف الإنتاج، ثمَّ يقضي على نفسه بنفسه ويكون سلبِيًّا لا إيجابيًّا.

فإذن الأمن الفِكريُّ يتوجَّه إلى قلب الإنسان، وإلى عقله.

قلب الإنسان: بألَّا تهزُّ عواطفه وانتماءاته، ويقينيَّاته.

فإذا رأيت الحروب النَّفسيَّة تجدها تتوجَّه إلى إيمانك؛ فهذه المقاطع الَّتي تراها في وسائل التَّواصل، وهذا الكلام الكثير الَّذي يجري: يُراد منه هَزّ هذا السَّلام الدَّاخليِّ الَّذي يجعلك قويَّ الارتباط بأُسرتك، قويَّ الارتباط بمجتمعك، في ظِلِّ قوَّة اعتقاد العقيدة، والدِّين، والولاء لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولدين الإسلام.

إذن التَّوجُّه بالحرب النَّفسيَّة: يكون بالتَّوجُّه إلى العقل، والتَّوجُّه للقلب.

لذلك الموضوع مهمٌّ جِدًّا؛ لأنَّ بناء النَّفْس الإنسانيَّة، وبناء المسلم، بناء الذَّات بناءً آمِنًا مطمئنًّا حتَّى ينجح في حياته وتكون حياته رَضِيَّة طَيِّبة لا بدَّ أنْ يكون سالِم القلب، سالم العقل: سالم القلب مِن الخوف، وسالم العقل مِن القلق والشُّبهات.

السَّلام مطلوب؛ كما ذكرنا.

واسم الله: السَّلام.

والنَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَفْشُوا السَّلَامَ بَينَكُم**».

و(السَّلام) لفظ، لكن مُؤدَّاه...

«**أَفْشُوا السَّلَامَ**»: أي أَفْشُوا قيمة السَّلام بين أفراد النَّاس؛ بأنْ يكون علاقتك بإخوانك وأخواتك وزملائك في العمل، في الدِّراسة، إلى آخِره: هي السَّلام.

السَّلام: أي ألَّا يكون هناك اعتداء، ولا تَعدٍّ للحدود، فتُحاسِب نَفْسَك على أنْ تكون مثالِيًّا قَدر الإمكان في علاقتك بمَن حولك، أنْ تحبَّ لهم ما تحبُّ لنَفْسك.

هذه هي القيمة المرتفعة في فَهْم الإسلام لإحداث الأمن الفكريِّ؛ وذلك أنْ يكون هناك سلام حقيقي تشعر به تجاه الآخَر.

إذا كان هناك سلام حقيقي تشعر به تجاه الآخَر كانت الحياة إسلاميَّة حقيقة.

الآخَر: هو أخوك المسلم، وكذلك غير المسلم إذا كان بينكم، وبينك وبينه عهد، وبينك وبينه علاقة، وعندك (عامل، موظَّف أتى بفيزا، أو بعَهد، إلى آخِره) فهذا بينك وبينه عهد أمان، وعهد حقوق.

فالسَّلام: صفة المسلم العالية، وقيمة المسلم العالية.

ولذلك؛ تسمعون أنَّ في كثير مِن أنحاء الأرض: انتشر الإسلام عن طريق مَن بَثُّوا السَّلام؛ وهُم التُّجَّار، وهُم المُعلِّمون، وهُم المكتشفون؛ فهؤلاء أثَّروا في انتشار الإسلام في جُزُر لم يَصِل إليها الفتح الإسلاميّ.

والجزر الَّتي في أماكن كثيرة في العالَم: الآن هي أكثر أُمَّة الإسلام عددًا؛ مِن حيث العدد؛ انتشر فيهم الإسلام بسبب القِيَم والأخلاق، وقيمة السَّلام الَّذي يُبَثُّ.

السَّلام يُبَثُّ للنَّفْس وللعقل؛ فتجد الآخَر يلتقي معك في جاذبيَّة إنسانيَّة، بعدها ينفتح قلبه، وينفتح عقله، ويُصغي لِمَا معك مِن الحقِّ؛ فهي قيمة عالية الأهمِّيَّة.

ولذلك قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣].

وقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُم**».

ونحو ذلك.

إذا كان الأمن الفِكريُّ بهذا النَّحو: فما وسائل تحقيقه في الواقع؟

كيف نُحقِّق الأمن الفِكريَّ بهذا المفهوم الشَّامل بوسائله في الواقع؟

هذا الموضوع يطول؛ وفيه بحوث كثيرة.

لكن الَّذي يُناسِب هذا المقام القصير نقاط؛ نفتح بها الباب لمَن أراد مزيدًا مِن النَّظَر.

أوَّلًا: الأمن الفكري إذا كان مَطلبًا فيحتاج إلى وَعْي؛ فهو لا يُهدَى.

الأمن الفكريُّ الَّذي تعيشه لا يُهدَى، فلا يستطيع شخص أنْ يضعه في غلاف جميل ويقول لك: (تفضَّل؛ هذه أثمن هدية: وهي أنْ تكون في سلام وطمأنينة مع نَفْسك وفي أَمْنٍ فكريٍّ)!! لا يُهدَى؛ إنَّما هو يُجلَب.

(يُجلَب): أي يحتاج منك إلى جُهْد، إلى أنْ تكون على مستوى أكثر في الأمن الفِكريِّ والسَّلام والطُّمأنينة.

هذا الجهد يتمثَّل في إطار واحد – بالاختصار – وهو الوعي.

فـ(الوعي) غير (التَّعلُّم).

فـ(التَّعلُّم): هو أساسيَّات التَّعليم المعتادة.

لكن (الوعي): هو حالةٌ عندك؛ تعي بها (أي تتعمَّق وتُدرِك بها) حال مَن حولك، وعلاقتهم بمصالحك.

الوعي: هو حال عندك؛ تتأمَّل فيها حال مَن حولك، وعلاقة مَن حولك - مِن أفراد، ومجتمعات، ودُوَل، وقريبين، وبَعيدين، وأصدقاء وغير أصدقاء – بمصالحك.

لذلك؛ أجمع علماء النَّفْس على أنَّ الإنسان لا يمكن أنْ يُحقِّق توازُنًا نَفسِيًّا إلَّا بعد أنْ يكون عنده وَعْيٌ بذاته.

مَن لا عنده وَعْي بذاته وبمصالحه وبما ينفعه وما يضرُّه: فإنَّه لن يستطيع أنْ يكون في مَعزِلٍ عن التَّأثيرات الَّتي تؤثِّر على أَمْنه العَقَديِّ، وأَمْنه الفِكْريِّ، وأَمْنه الاجتماعيِّ، وأَمْنه السِّياسيِّ، وأَمْنه بجميع أنواعه.

إذن لا بدَّ مِن الوعي.

وسائل الوعي: مزيد مِن الاطِّلاع في المصالح.

و(المصالح): نوعان:

- مصالح عليا وكُبرى، ومقاصد عظيمة.

- والنَّوع الثَّاني: مصالح متوسِّطة؛ قد يتردَّد الإنسان فيها أحيانًا، وقد يُفرِّط فيها، وقد يأتي بها.

- ثمَّ مصالح أقل في الاستعمال أو في الحاجة.

المصالح العليا: لا ينبغي أنْ تُفرِّط بها؛ لأنَّها ستؤثِّر في وَعْيك، ستؤثِّر في وجودك، ستؤثِّر في توازُنك، ستؤثِّر في تفكيرك، ستؤثِّر في رؤيتك للأشياء.

المصالح العليا لنفسك: تتمثَّل في مصلحتين كبيرتين:

- مصلحة دنيويَّة؛ وهو ما به تصلح حياتك، وما يُعارِض مصلحة حياتك يجب أنْ تقف منه، وتُفكِّر به.

- والثَّاني: المصلحة الأكبر، وهي مصلحة آخرتك.

لذلك؛ التَّوازُن النَّفسيُّ يأتي لمَن جَمَع ما بين مصلحته الأُخرويَّة العظيمة – وهي الفوز بالجنَّة والنَّجاة مِن النَّار ورضا الله جَلَّ وَعَلَا –، ثمَّ مصلحته الدُّنيويَّة الَّتي تكون بها حياته على أحسن وأكمل الوجوه.

والنَّاس يتلقَّون المصلحة الأُخرويَّة: يسمعها في القرآن، يصلِّي، يسمعها في العقيدة، يتعلَّمها، فهي سهلة؛ فمِن الممكن أنْ يقول: (أنا سأحافظ على عقيدتي، وعلى توحيدي، وسأحافظ على صلاتي، وعلى عِباداتي، وأقوم بالواجبات، وأنتهي عن المنهيَّات؛ وبهذا أكون وضعت حدًّا لنفسي في مصلحتي الأُخرويَّة).

لكن المصلحة الدُّنيويَّة: المصالح الدُّنيويَّة تحتاج إلى فَرْز عقليٍّ، ولذلك العقل يحتاج إلى مزيد إنماء.

العقل: يعني إدراك الأشياء.

عَقْل الأشياء: يعني أنْ تُدرِك الأشياء على ما هي عليه.

فتحتاج إلى مَزِيد إنماء في ترفيع العقل لمعرفة مصلحتك مِن عدم مصلحتك.

هناك أُناس كثيرون (رجال ونساء) يُسيَّر، يخرج مِن المَدرسة ويدخل الجامعة ويدرس بشكل ثمَّ يذهب إلى الوظيفة بشكل، ثمَّ يكون في علاقته بأُسرته مباشرةً، بدون أنْ يتأمَّل في درجات ما يُصلِحه، ومصالحه في هذه، والدَّرجات الضَّعيفة!

فهو أحيانًا ينساق في أشياء أقلّ أهمِّيَّة، ويُفوِّت الأشياء الأكثر أهمِّيَّة.

فالصِّناعة العقليَّة لإدراك المصالح تحتاج إلى فَرْز؛ هذا الفَرْز تقوم به مع نفسك بورقة وقلم.

حتَّى تكون في أَمْنٍ فِكريٍّ: تكتب المصالح الكبيرة، والمصالح الصَّغيرة.

ثمَّ تضع خطَّة بالاتِّجاه نحو المصالح الكبيرة لإصلاح دُنياك، لا تلتفت للآخرين؛ بُرّ بوالديك وبرحمك القريب ولا تلتفت إلى ما يُشغلك عن تحقيق مصالحك، اتَّجه لها بقوَّة دون تفريط، دون تضييع للوقت، تضييع العُمر، تضييع للجهد الَّذي بَذَلته.

فإذن الفَرز مهمٌّ، والفَرز يحتاج إلى ورقة وقلم وصفحة طويلة تكتب فيها خواطرك، وتُقيِّم نفسك؛ ثمَّ إنْ شئت أنْ تعرض الأمر على مَن تَحسُن مَشُورته مِن العقلاء والحكماء ليساعدك في وَضْع الخطَّة فهذا طيِّب، وإلَّا فأنت تُدرِك مصالحك.

فإذا كَتَب الشَّخص مصالحه وفَرَزها، وحَدَّد المُقدَّم وحَدَّد المُؤخَّر: اهتمَّ بالفَرْز.

هذا مِن حيث الوعي.

هذه أرضيَّة عامَّة لوسيلة تحقيق الأمن الفكريِّ والسَّلام الاجتماعيِّ: سلام الفرد، سلام المجتمع، السَّلام في العلاقات كلِّها؛ علاقتك بنَفْسك، بأُسرتك، بدَولتك، بمجتمعك، بالعالَم الخارجيِّ، بالمسلمين، بغير المسلمين، إلى آخِره.

مِن الوسائل لتحقيق الأمن الفِكريِّ والَّتي هي نابعة مِن الوعي الدِّينيِّ والوعي العقليِّ التَّأمُّليّ: أهمِّيَّة الاعتدال في الحياة، أهمِّيَّة التَّوسُّط في الحياة.

وتسمعون مصطلح (الوسطيَّة) و(الاعتدال).

الوَسَط: هذا لفظ شرعيٌّ؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا في سورة البقرة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وَسَطًا: يعني عَدْلًا خيارًا.

عَدْلًا: يعني هي في منتصف طَرَفين نقيضين: (طرف الاعتدال، وطرف الإهمال)، (طرف الغُلوِّ، وطرف التَّساهُل والتَّسيُّب)، (طرف الجِدِّيَّة المَحضة، وطرف العَبَث المحض).

(العدل) أو (الوَسَط): هو فضيلةٌ بين طرفين.

خلاصة العدل والاعتدال المطلوب والوسطيَّة: أنْ تكون صاحب فضيلةٍ بين طَرَفين: أحدهما: بعيد، والآخَر: أيضًا بعيد في الجهة الأُخرى.

قال الشَّاعر الحكيم:

لَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِد كِلَا طَرَفَي قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

لذلك اتَّصفت الشَّريعة بهذه الصِّفة العظيمة: أنَّها شريعة الوسط.

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وهو حكيمٌ مِن حكماء الأُمَّة في كلماتٍ كثيرة له؛ فيما رواه ابن المبارك، وابن أبي شَيْبة، ورواه اللَّالكائيُّ في «أصول أهل السُّنَّة» – قال كلمة جميلة للأُمَّة؛ يستعملها أهل العقيدة، ويستعملها الإنسان البسيط في حياته، مِن جوامع كَلِمه: (خَيرُ النَّاسِ هذا النَّمَطُ الأوسَطُ، يلحَقُ بهم التَّالي، ويرجِعُ إليهم الغالي).

يعني اهتَمُّوا بالنَّمَط الأوسط؛ لأنَّه هو القدوة.

الوسطيَّة والاعتدال: كلمة نقولها، وتُستعمَل في أنواع شتَّى مِن الكلام، فهي كلمة عظيمة.

لأنَّ استمرار الحياة بأَمْنٍ وطمأنينة وسلام كما أرادها الله جَلَّ وَعَلَا تحتاج إلى شيءٍ يقبله الإنسان، يقبل أنْ يعيشه؛ فالإنسان لا يقبل أنْ يعيش في غُلُوٍّ جدًّا، ولا يقبل أنْ يعيش في تَسَيُّبٍ جدًّا.

لكن يقبل أنْ يعيش في وسطيَّة؛ هذه الوسطيَّة هي الكمال.

إنْ ذهب إلى التَّساهُل وإلى التَّسيُّب: استغفر ورجع إلى هذا النَّمَط الأوسط.

وإنْ ذهب إلى الغُلوِّ وجاز له الانفعالات وجاز له الغُلوّ في الأمر ومجاوزة الأمور حدَّها: فإنَّه ينظر ويرجع إلى الوسط.

فإذن تكثير النَّمط الأوسط خاصَّةً – في الجامعات – والقدوات، بناء القدوة بالنَّمَط الأوسط: مهمَّة للطُّلَّاب في أَمْنهم الفِكريِّ؛ لأنَّه يجعل هناك قدوة متوسِّطة يرعى مصالحه الأُخرويَّة والدُّنيويَّة، يراه عاقلًا، يراه في سلامٍ وطمأنينة، ويرى تعامُله، ويرى

أنَّه بعيد عن التَّساهُل، يراه واعيًا، يراه غير ضعيف في بِنيته العِلميَّة ولا بِنيته النَّفسيَّة، علاقته بالنَّاس جميلة، وعلاقته بربِّه أجمل؛ فيكون قدوة.

الشَّباب والشَّابَّات إذا رأوا القدوات كانت لهم مثالًا مختصرًا في الاتِّجاه إلى الطُّمأنينة وإلى الأَمْن الفِكريِّ.

الوسيلة الثَّانية: أهمِّيَّة القِيم:

نريد أَمْنًا فِكْريًّا: يعني سلام في النَّفْس وفي العقل، سلام في الدَّاخل مِن المُنازَعة لِمَا يُفسِد العاطفة ويجعلها تختلّ في النَّظَر إلى الأشياء، وتنجرف إلى أشياء إمَّا هنا أو هناك، أي طرف الزِّيادة أو طرف التَّساهُل الكبير؛ تحتاج إلى قِيَم.

الإسلام جاء بالقِيَم.

والقِيَم:

* تُسمَّى قِيَمًا؛ يعني صفات لها قيمة مهمَّة.
* وتُسمَّى أيضًا الأخلاق.

الأخلاق بمفهومها العام؛ وهو الخُلُق الَّذي ينطبع في نَفْس الإنسان حتَّى يكون كانطباع الخَلْق على صورته.

خُلُق الإنسان: هو صورة النَّفْس، وأعضاؤك: هي صورة البدن.

الخُلُق: هو صورتها، وهو القِيَم؛ فالقِيَم: هي الأخلاق ذات القيمة.

وهناك بَحْث فلسفيٌّ بَحَثه فلاسفة اليونان، وبَحَثه فلاسفة الشَّرق (الهند، وغيرها): بحثوا في موضوع القِيَم أو موضوع الأخلاق: ما مَرْجع هذه القيمة؟ ما مَرْجع الأخلاق؟

الأخلاق: يعني الصِّفات المحمودة؛ مِن صفات الأمانة، صفات أداء الحقوق، وصفة الشَّجاعة، وصفة الكَرَم، وصفة الغَيْرة، وصفة العدل، والصِّفات الَّتي هي قِيَم.

كان عند العرب بعضًا منها، وجاء الإسلام وزاد أشياءً أخرى؛ فصارت الأخلاقُ قِيَمًا، **ومَرْجع هذه القِيَم في الشَّريعة:**

* النَّصُّ (القرآن والسُّنَّة، والهَدْي النَّبويّ).

* وأيضًا مرجعها: العقل.

أمَّا عند الآخَرين (سواءً فلاسفة اليونان المُتقدِّمين، أو فلاسفة أوربا المتأخِّرين؛ وهي الَّتي يُجرَى عليها الكلام الآن في مؤتمرات الفلسفة والكتب في كلِّ مكان): أنَّ مرجع الأخلاق والقِيَم: هو العقل فقط.

وعندنا: أنَّ العقل مصدر، ولكن الأكثر: هو الَّذي جاء به الوحي (القرآن والسُّنَّة)؛ لأنَّ الإسلام جاء بتقوية المسلم في نَفْسه (في صورته النَّفسيَّة وفي صورته البدنيَّة).

لماذا قاتل المسلمون وجاهدوا وتساقطت الأُمم في ظرفٍ بسيط؟

لماذا أُمَّة الإسلام في أقلِّ مدَّة – بالنِّسبة لأُمم العالَم في التَّاريخ – امتدَّت في مائة سنة أكثر ممَّا امتدَّت أيّ أُمَّة في مئات السِّنين؟

لأنَّه تكامَلَ فيها البناء الرُّوحي، والبناء الجَسَدي.

تكاملت فيها القِيَم والأخلاق، وتَكامَل فيها البناء الجسدي.

تكامَلَ فيها حُبُّ المبدأ وحُبُّ العقيدة، وحُبُّ مصلحتها في الحياة الدُّنيا.

ولذلك؛ في الدَّولة الأُمويَّة قبل سنة مائة مِن الهجرة وصل المسلمون إلى المحيط الأطلسيِّ ووصلوا إلى الصِّين شرقًا في مائة سنة.

أمَّا الدُّوَل الَّتي قبلنا: فارس: في ثلاثمائة سنة، والرُّوم: في ثلاثمائة أو أربعمائة سنة توسَّعوا إلى أقصى حَدٍّ توسَّعوه في رغبتهم في التَّوسُّع الحضاريِّ أو السَّيطرة ومَدِّ النُّفوذ.

لذلك؛ القيمة مهمَّة جدًّا في إحداث الأمن؛ لأنَّها وقاية؛ فالقِيَم وقاية تجعل النَّفْس والعقل في وقاية وحراسة مِن أنْ يأتي أحد ويتعدَّى عليه.

لذلك؛ دَرْس القِيَم مهمٌّ في الجامعات؛ لأنَّه وسيلة مِن وسائل الأمن الفكري غاية في الأهمِّيَّة؛ فالتَّأكيد على القِيَم - قيمة الصِّدق، قيمة الوفاء، قيمة الحُبِّ لإخوانك، قيمة السَّلام، وهكذا - الأخلاق.

فالنَّفْس والرُّوح - الَّتي لا نراها - تكون لها صفة صامدة، مِثل صاحب القوَّة البدنيَّة يكون قويًّا ولا يمكن أنْ يعتدي عليه أحدٌ فكذلك صاحب النَّفْس السَّويَّة الكاملة يكون كاملًا، ولا يمكن أنْ يُختَرق، عنده أَمْن كامل في فِكْره وتفكيره.

هنا سؤال، وهو في صميم موضوعنا: نحن ندرس منهج وأصول لكلِّ العلوم، في العلوم الدِّينيَّة: (في التَّفسير: ندرس أصول التَّفسير، وفي الحديث: ندرس مصطلح الحديث، وفي الفقه: ندرس أصول الفقه)، وفي اللُّغة العربيَّة: ندرس النَّحو والبلاغة، إلى آخِره.

فلكلِّ شيء: هناك منهج يجعلك تأتي لهذا العلم متوازنًا، تدخل فيه على أصوله، لا تتلقَّاه هكذا؛ بل تدخل فيه على أصوله.

كذلك العقل: وضع له أرسطو وفلاسفة اليونان شيئًا اسمه (المَنطِق)؛ لأنَّه يريد أنْ يشتغل بالفلسفة، فوجد أنَّه يمكن أنْ يدخل في الفلسفة ويُخطِئ؛ فوضع قواعد تعصم عقله وفِكْره مِن الغلط في التَّفكير الفلسفيِّ في أنواع الفلسفة المختلفة: (فلسفة الطَّبيعيَّات، وفلسفة الهندسة، وفلسفة الموسيقى، وفلسفة ما وراء الغيب،... إلى آخِره).

لكن التَّفكير عندنا – عند أهل الإسلام –: فأنت تجلس تُفكِّر وتتلقَّى مقطعًا، وتقرأ في كتاب، وتقرأ في جريدة، وتسافر، وتلتقي بشخص؛ هذا التَّفكير: ألَا يحقُّ لك أنْ تضع له منهجًا؟!

في كلِّ مرَّة توازِن في التَّفكير تكون غير المرَّة الَّتي قبلها، كلّ مرَّة تُفكِّر بطريقة وتحلُّها بطريقة جديدة بدون منهج؟!

لا بدَّ مِن وَضْع المنهج للتَّفكير، وهو أهمُّ مِن المنطق لعلوم الفلسفة؛ لأنَّ التَّفكير يحتاجه كلُّ أحد، أمَّا الفلسفة: فهي صناعة النُّخبة (أي مِن الَّذين يشتغلون بالفلسفة).

أهل الإسلام: نُخبتهم: العلماء، وأصحاب العقل الرَّصين، وأصحاب الحِكمة؛ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤].

فالمنهج في التَّفكير يجعلك حكيمًا.

الحكيم: هو الَّذي يضع الأمور مواضعها.

فعندما يأتيك أَمر لا تذهب بشَطط يمين ولا تذهب بشَطَط يسار؛ بل عندك نظرة حكيمة.

فتقول: (فلان حكيم)؛ لأنَّه يضع الأمور مواضعها، يعطي الحقوق كما هي، يحكم على الأشياء كما هي، لا يبالِغ، لا يتأثَّر، عنده مناعة، غير مُنفعل؛ إذن يحتاج إلى منهج.

هذا المنهج يحتاج إلى ندوات، يحتاج إلى مزيد من إلقاء الضَّوء عليه.

فقد يضع الشَّخص منهجًا، لكن يحتاج إلى خبرات تضع المنهج العقلي في التَّفكير، أي كيف تضبط تفكيرك مِن الخطأ؟

ما خلاصة منهج التَّفكير؟

وهو دعوى لأساتذة الجامعة، وهُم على قَدْرٍ كبيرٍ في وَعْي مُدرَك هذا الكلام.

المنهج: هو وَضْع ضوابط تقي الفِكْر مِن الغلط.

كيف؟

عندنا إشاعات في كلِّ مجال؛ إشاعات تتعلَّق بالأشخاص، وإشاعات تتعلَّق بالدَّولة، وإشاعات تتعلَّق بأمورٍ كثيرة في الحياة؛ تارةً يبثُّها مَن لا يعي، وتارةً يبثُّها مُقلِّد، وتارةً يبثُّها مُغرِض.

هل في كلِّ مرَّة يكون لك ميزان في تمييز هذه الإشاعات؟

الإرجاف يأتي له إشارة بسيطة له.

هل تحتاج هذا كلّ مرَّة أَم تحتاج إلى وَضْع منهجٍ في التَّفكير؟

لا بدَّ مِن وَضْع منهجٍ في التَّفكير.

أنا سأضع اجتهادًا ضعيفًا؛ سأضع بعض العناصر الَّتي تفتح الباب أمام منهج العقل في سلامة التَّفكير فيما حوله، مُقدِّمات.

أوَّلًا: مِن المهمِّ أنْ تُفرِّق بين العقل والعاطفة؛ العقل يدلُّك على أشياء، والعاطفة تذهب بك إلى أشياء.

صراع العقل مع العاطفة رعاه القرآن كثيرًا والسُّنَّة؛ لأنَّه تمييزٌ بين نَوْعَي قُوَّة تُخاطبك وأنت تُفكِّر.

عاطفة قويَّة تُحتِّم عليك أنْ تُفكِّر بهذه الطَّريقة، وعقلٌ يعقل (أي يحبس) ويجعلك تتراجع في أنَّك تمضي في هذا الأمر أَم لا تمضي.

فإذن الصِّراع بين العاطفة والعقل هو صراعٌ كبير؛ خاصَّة في هذا الزَّمن الَّذي فيه أمور لا حَصْر لها تُوجِب على النَّاس أنْ يكون عندهم صراع بين العاطفة وبين العقل، وأنْ يكون عندهم قلق بين العقل والعاطفة، لا يعرف أين يتَّجه وكيف يُفكِّر؟.

فالعاطفة تقول له: (الظُّلم مرفوض).

(وكيف أصبر؟!) والعقل يقول له: (مصالحك العليا تُحتِّم ألَّا تَنساق وراء هذه العواطف الَّتي ليس مِن ورائها شيء).

العاطفة تقول لك: (اذهب إلى هذا الطَّريق).

والعقل يقول: (هذا الطَّريق لا أعرف آخِره، وما لا أعرف آخِره بيقين فلا يصلح أنْ أمشي في أوَّله).

وهكذا مِن أنواع صراع الأفكار الَّذي يكون فكرة العاطفة تؤدِّي إلى اتِّجاه، وفكرة العقل تؤدِّي إلى اتِّجاه.

هناك أيضًا ثنائيَّات تُسهِّل عمل منهج للتَّفكير؛ أذكر منها أشياء:

أوَّلًا: الطَّاعة في المطيع (يعني في الشَّخص الواحد) تكون، ويكون مع الطَّاعة معصية.

هذا منهج مهمٌّ في التَّفكير؛ فلا يتصوَّر أحد أنَّ هناك مطيع كامل لا معصية فيه، لا يوجد، أو هناك مسلمٌ عاصٍ لا خير فيه البَتَّة: لا يوجد إذا كان مسلمًا حقيقة.

فإذن هناك طاعة، وهناك معصية؛ تحتاج منك إلى وَضْع مَنهجٍ في التَّفكير في كيف ننظر إلى النَّاس بطاعتهم ومعصيتهم، أو بالكلام العصريِّ (بإيجابيَّاتهم وبسلبِيَّاتهم).

فأنت عندما تُفكِّر فلا تتوهَّم أنَّك ستتعامل مع إيجابيَّة محضة؛ فهذا لا يوجد.

أو تتعامل مع شيء لا سلبيَّة فيه: فهذا لا يوجد؛ كأنْ تقول: (لا أستطيع أنْ أذهب لهذا لأنَّه سيحدث كذا، أو سيحدث كذا)!!

فإذا كان مِن الممكن أنْ يكون كذا وكذا مِن السَّلبيَّات الَّتي تضرُّك فتنظر لها وتُضخِّم هذا في منهج تفكيرك بعاطفتك، ثمَّ لا تُسلِّط العقل بالتَّفكير على ما هو الأرجح: وجود الأشياء الأُخرى أَم هذه السَّلبيَّات!

فالَّذي يذهب إلى ناحية واحدة مِن التَّفكير في النَّظَر إلى السَّلبيَّات دون أنْ ينظر في الإيجابيَّات ويُفصِّلها: هنا يقع في أوَّل خطوات الخَلل في التَّفكير.

فإذا تعارضت السَّلبيَّات مع الإيجابيَّات في شيءٍ ما: فكيف تُفكِّر؟

لا بدَّ أنْ نُغلِّب الإيجابيَّات؛ لأنَّ وجود الإيجابيَّات في الحياة أهمُّ مِن السَّلبيَّات؛ فكونك تُوجِد حالة إيجابيَّة – حتَّى لو كان معها سلبيَّة – أهمُّ مِن أنْ نقول: (لا نُوجِد شيئًا؛ لا إيجابي ولا سلبي، لا نريدها كلّها)!!

لا؛ فالَّذي جرى عليه العمل – عمل أُمَّة الإسلام؛ مِن عهد الخلفاء الرَّاشدين إلى اليوم –: أنَّنا نعمل بما فيه طاعة لله جَلَّوَعَلَا، وبما فيه إيجابيَّة، وبما فيه طاعة للرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبما فيه مصلحة لنفسك، ومصلحة لأُسرتك، ومصلحة لوطنك، ومصلحة لدولتك، ومصلحة لأُمَّتك.

فتمشي فيه بإيجابيَّاته، وإذا كان فيه سلبيَّات فهذه السَّلبيَّات تُقدَّر بقَدَرها؛ لأنَّه لا يوجد مُطيعٌ بلا عصيان، لا يوجد إيجابيَّة بلا سلبيَّة؛ قال الله جَلَّوَعَلَا في سورة فاطر: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر:٣٢]: هذا منهج في التَّفكير.

الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر:٣٢]: فالله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ اصطفاهم بالتَّوحيد، اصطفاهم الله جَلَّوَعَلَا بالإسلام، اصطفاهم الله جَلَّوَعَلَا بحَمْل الكتاب، لكن هؤلاء ليسوا كاملين:

﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢]: يعني عنده سلبيَّات، قليلة أو كثيرة.

﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ [فاطر:٣٢]: الإيجابيَّات والسَّلبيَّات أو الطَّاعة والمعصية متوازنة.

﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [فاطر:٣٢]: هذا قائد؛ قائد في الخير، قائد في الطَّاعة؛ فهو ﴿سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر:٣٢].

لكن كلُّهم داخلين في المُصطَفَيْن مِن عبادنا (في المطيعين).

أيضًا مِن مَعالِم منهج التَّفكير في الثُّنائيات الَّتي ذكرت: أنَّك **لا تُرهِق نفسك في طلب الكمال**؛ فالمطلوب منك: هو النَّجاح، المطلوب منك: أنْ تكون ناجحًا لا أنْ تكون كاملًا.

الله جَلَّوَعَلَا فضَّل بين الرُّسل؛ قال جَلَّوَعَلَا في سورة البقرة: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [البقرة:٢٥٣]؛ يعني الرُّسل متفاضلون؛ فالنَّاس كذلك متفاضلون.

فلا علاقة بين هاتين الثُّنائيتين: (النَّجاح والكمال).

فتكون ناجحًا: نعم؛ هذا منهج التَّفكير الصَّحيح.

(لا بدَّ أنْ تكون كاملًا): غلط، فأنت تُقيِّم الأشياء على أنْ تكون كاملة وما دام ما كانت كاملة فهي غير مَرضيَّة: فهذا خطأ في منهج التَّفكير.

فعليك أنْ تُقيِّم الأشياء على أنْ تكون إلى الصَّلاح أكثر، إلى الإيجابيَّة أكثر، إلى النَّفع أكثر ولو لم تكن كاملة.

إذا صار كمال: فهذا نعمة كبيرة.

لكن في الحياة الكمال عزيز، لا يكون؛ فالكمال في الإخلاص عزيز، الكمال في الطَّاعة عزيز، الكمال في أداء المسؤوليَّات عزيز، الكمال في أداء الأدوار النَّافعة عزيز، الكمال في الشُّعور بالقِيَم وامتثالها عزيز.

إذن فهناك انفصال حقيقي ما بين رؤية النَّجاح ورؤية الكمال؛ فهذا منهج مهمٌّ في التَّفكير.

إذا وَضَعه الإنسان وفرَّع عليه ودَرَّب نفسه عليه: سيحلُّ إشكالات كثيرة مِن أوَّل وَهْلة، وسَيقيه مِن الخلل النَّفسيِّ الَّذي ينتج عنه عدم الأمن الفِكريِّ في نفسه وفي عقله.

إذن أكون ناجحًا: فهذا طيِّب، لكن لا أستطيع أنْ أكون كاملًا؛ فهذا هو الَّذي أعطانيه الله؛ لكن اجتهدت على أنْ أكون ناجحًا؛ ناجحًا في نفسي، ناجحًا في أُسرتي، ناجحًا في

مجتمعي، ناجحًا في تعليمي، ناجحًا في وظيفتي، ناجحًا في علاقتي بوالديّ، ناجحًا في علاقتي بدولتي، ناجحًا في علاقتي بمَن حولي.

لكن (أنْ أكون كاملًا) ليس شرطًا، وليس مطلوبًا؛ لأنَّ **الوجود النَّافع يكون بالنَّجاح لا بالكمال**.

مِن المنهج: **لا بدَّ أنْ تُفرِّق بين الحقيقة العِلميَّة وكلام المتخصِّصين**.

فمِن منهج التَّفكير:

- أنْ تُفرِّق بين الإسلام وكلام علماء الإسلام.
- تُفرِّق بين الإسلام وبين أهل الإسلام.
- تُفرِّق بين الإسلام وبين فِعْل أهل الإسلام.

الإسلام حرَّم الاقتتال، والصَّحابة اقتتلوا؛ ففَرْقٌ بين الإسلام المطلوب وبين الذُّنوب الَّتي تقع مِن العِباد حتَّى لو كانوا صحابة فقد اقتتلوا فيما بينهم.

فترجع بمنهجك للتَّفكير في الصَّواب إلى المُطلَق الَّذي تحرص على وجوده، وتُنزِّه الدِّين مِن أنْ يكون في أوامره الَّتي أَمَر الله جَلَّوَعَلَا يدلُّ عليه أفعال النَّاس أو أقوالهم، فأقوالهم قد تضطرب.

لذلك؛ فالعلماء:

* مِنهم مَن يُحسِن الكلام عن الدِّين ويجلو الشُّبهات عنه ويُبيِّنه.
* ومِن الدُّعاة مَن يُحسِن الكلام عن الدِّين وبأفعاله يُحبِّب النَّاس في الدِّين وفي الإسلام وفي السُّنَّة وفي الخير.
* ومنهم مَن يكون متديِّنًا ومطيعًا ولكن لا يُحسِن هذا الدَّور.

فإذن هناك فَرْق بين العِلم والمتمثِّل بالعِلم.

فأنت إذا رأيت النَّاقص في التَّمثُّل بالعِلم..

وهنا (العلم الشَّرعي) صورة ومثال، وسأفصِّل في أنواعه..

لكن إذا رأيت النَّقص فانسب النَّقص له، لتفكيره، لقُدراته، لحالته النَّفسيَّة، لِفِعْله، لتربيته، لنشأته.

فهناك أناس لا يفهمون الإسلام، أو يفهمون الإسلام على نحوٍ ما؛ لأنَّ نشأته أدَّته إلى أنْ يفهم الإسلام على نحوٍ ما.

لكن نحن ننظر إلى ما كان عليه أهل الإسلام في عهد النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد الخلفاء الرَّاشدين، وما جاء في القرآن والسُّنَّة بوضوح.

السِّياسيُّ والسِّياسة: هل كلُّ سياسيٍّ تكلَّم في السِّياسة أصاب السِّياسة نفسها؟

لا؛ تكون السِّياسة تذهب شيئًا، والسِّياسيُّ يتكلَّم في شيءٍ آخَر.

ولذلك؛ في منهج التَّفكير: أنَّ الأخبار السِّياسيَّة لا تعني السِّياسة، التَّصريحات السِّياسيَّة لا تعني السِّياسة؛ فالسِّياسة قد لا تُقال، قد تكون في الخفاء، قد لا يكون المصلحة في إظهارها.

فإذن تقييمك للأشياء في فِكْرك (في منهج التَّفكير): ألَّا تربط بين الشَّيء وبين أصله.

فالسِّياسيُّ يتكلَّم ويتكلَّم ويريد أنْ يصرف النَّظر إلى شيءٍ ما، لكن السِّياسة في نفسها ترجع فيها إلى ثوابتها وإلى يَقينِيَّاتها.

أمَّا هذا الحَدَث الواحد في كلام السِّياسي (كعِلم)، أو في كلام الجغرافِيِّ أو في كلام المؤرِّخ: فقد يكون النَّتيجة شيء...

المؤرِّخ والتَّاريخ: ستسمع مؤرِّخ يؤرِّخ، وهناك تاريخ.

هناك تاريخ يَقينيٌّ، وهناك تفاصيل.

التَّاريخ اليقينيُّ معروف؛ اجتمع النَّاس عليه ..

لكن التَّفاصيل: (حَدَث كذا، وقال: كذا، وقيل: كذا).

ويأتي مؤرِّخ بالتَّاريخ لينصر وَضْعًا ما في وقتٍ ما.

نعرف أنَّ التَّاريخ يُصاغ بحسب الأزمنة وبحسب الأوقات وبحسب مصلحة أهل المصالح.

التَّاريخ الأُمويُّ دُوِّن في الفترة العبَّاسيَّة فصار فيه الكثير ممَّا لا يُعقَل؛ يقول لك: (امتلأت المدينة بالجواري والمُغنِّيَات في الأسواق؛ وذلك بِفِعْل بني أُمَيَّة الَّذين كانوا وكانوا وكانوا..)! هذا الخبر جاء في عهد العبَّاسيِّين، فلا يكون!.

فإذن لا بدَّ أنْ يكون هناك تمييز بين التَّأريخ وبين قول المؤرِّخ.

ففي التَّاريخ يحتاج الرُّجوع إلى اليقينيَّات، والرُّجوع إلى الثَّوابت، والرُّجوع إلى القواعد.

هذه معالم يسيرة في منهج التَّفكير العقليِّ الَّذي هو مِن أسباب تحصيل الأمن الفِكريِّ للفرد، ثمَّ الأمن الفِكريُّ للمجتمع، ثمَّ ما يلي ذلك مِن آثار إيجابيَّة.

مِن الآثار الإيجابيَّة: أنْ يكون هناك سلام، محبَّة، إنتاج، عبادة لله جَلَّ وَعَلَا على الوجه الَّذي يُرضي، ثمَّ السَّعي في الدُّنيا على الوجه الَّذي يحبُّه الله جَلَّ وَعَلَا.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أنْ يوفِّقني وإيَّاكم لِمَا فيه صلاحنا في ديننا وفي دنيانا، وأنْ يجعل قلوبنا نقيَّة وعقولنا سليمة مُصيبة، وأنْ يَمُنَّ علينا بالتَّعاون على البِرِّ والتَّقوى، وأنْ نُحبَّ لإخواننا ما نحبُّ لأنفسنا، وأنْ يمنحنا نَفْسًا سَخِيَّةً وقِيَمًا رَضِيَّةً نقترب ونزدلف بها مِن رضوان الله جَلَّ وَعَلَا.

اللَّهمَّ وَفِّق الحاضرين جميعًا – ذكورًا وإناثًا – لنَيْل ما يتمنَّوه، وارزقهم الصَّلاح في دينهم، والصَّلاح في دُنياهم، ومُنَّ عليهم بقوَّة الوعي والفهم والالتزام بما فيه مصلحتهم في الدِّين والدُّنيا.

وأسأل الله جَلَّوَعَلَا أنْ يوفِّق ولاة أمورنا لِمَا فيه الخير والصَّلاح، وأنْ يجعلنا وإيَّاهم مِن المتعاونين لِمَا فيه قوَّة بلادنا وقوَّة عقيدتنا وقوَّة ديننا؛ إنَّه جَوَادٌ كريم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد.

شَكَر الله لمعاليكم، ونستأذنكم في طرح بعض الأسئلة.

السُّؤال: وردنا سؤال مِن الدُّكتور فايز عميد كلِّيَّة العلوم والآداب؛ يقول: يعلم معاليكم أنَّ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة تعيش أزهى عصورها، وأنَّ التَّقدُّم في المجال التِّقنيِّ يُشاد به على مستوى العالَم.

وقد أثبتت الدِّراسات شِدَّة تَعلُّق الشَّباب والفتيات ممَّن هُم في سِنِّ المراهقة بوسائل التَّواصل الاجتماعيِّ، وقد وصل استخدامهم لها بما يزيد عن ثمان ساعات يوميًّا!

وعلى الرَّغم مِن إيماننا بالدَّور الإيجابيِّ لوسائل التَّواصل الاجتماعيِّ إلَّا أنَّ هناك ممَّن يعملون في الخفاء هدفهم هؤلاء الشَّباب والتَّأثير على أفكارهم لإيذاء أنفسهم ومجتمعهم؛ ممَّا صَنَع شبابًا يعادون الدِّين والمجتمع وولاة الأمر.

معالي الشَّيخ؛ ما هي النَّصيحة الَّتي يمكن أنْ تسديها لأبنائك وبناتك في هذه المرحلة الحسَّاسة مِن حياتهم؟

الجواب:

لا شكَّ أنَّ لوسائل التَّواصل الاجتماعي هجومًا قويًّا علينا.

وليس على الشَّباب والمراهقين فقط؛ بل حتَّى على الكبار أيضًا؛ فالكبار صاروا ينشغلون بالسَّاعات في وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ، وينتقل ما بين تطبيق إلى تطبيق، ومِن برنامج إلى برنامج،... إلى آخِره.

لكن الواقع: فيه صعوبة وفيه قوَّة، كيف تتعامل مع هذا الواقع؟

لا بدَّ أيضًا مِن وَضْع حَدٍّ تمشي مِن خلاله؛ فأنْ نقول: (قاطِع وسائل التَّواصل الاجتماعيّ): هذا خيال.

فأنْ نقول: (اذهب للفائدة مِن وسائل التَّواصل الاجتماعي، ولا تتأثَّر بغيرها): أيضًا خيال.

الواقع: أنَّ مَن يأتي وسائل التَّواصل الاجتماعي الجَيِّد الواعي العاقل سيأخذ المفيد وسيناله غبار الضَّار وغير المفيد، وسيؤثِّر عليه!

أقلُّ ما يؤثِّر عليه الضَّار منها – وهذا في العاقل والصَّالح -: أنْ يجعله في خلل عن الكمال أو عن الرُّقيِّ بنفسه، ثمَّ تطول المسألة إلى أنْ تُوقعه في تضييع عُمره ووقته، ... إلى آخِره.

لكن الواقعيَّة مهمَّة؛ وهي أنْ يضع المرء – الرَّجل أو المرأة – لنفسه وقتًا؛ هذه هي الواقعيَّة، وهذا بالتَّجربة.

فالواقعيَّة تقول: أنَّنا لا نستطيع أنْ نتخلَّى عنها، لكن سآخذ وقتًا معيَّنًا (كل يوم ساعتين مثلًا، ولا أزيد عليها).

الإحصاءات الَّتي نُشِرت تقول: الإنسان السُّعودي – رجل أو امرأة – يصل في المتوسِّط إلى سبع ساعات في تعاطيه مع وسائل التَّواصل!

فـ(سبع ساعات): هذا زمنٌ طويل مُضِرٌّ حتمًا.

ما يُطالعه مِن الصَّواب فيها مختلِط بشُبهات، ومُختلِط بمواقع فيها ضرر ديني (أي في العقيدة، وفي الشُّبهات)، وفيها مواقع في الإشراك وفي عبادة الشَّيطان، وغيرها.

صحيح أنَّ نظام التَّطبيقات معتمد على الخوارزميَّات (وهي أنَّه كلَّما اطَّلعت على شيءٍ جاءك مِثله) فأنت المسؤول؛ فهذه تُحتِّم عليك المسؤوليَّة، أنَّك جاءك الشَّر فأنت تستطيع أنْ تحصره؛ فأنت مُحاسَب عليه.

فصحيحٌ أنَّك عملت بهذه الطَّريقة ...، لكن سيأتيك الأشياء الَّتي هي غير جيِّدة؛ فلا بدَّ أنْ تعتني.

ففي بعض التَّطبيقات: إمكان الحذف؛ فيمكنك أنْ تكتب (غير مهتم).

فلا بدَّ أنْ تحاسب نفسك؛ فهذا منهج مهمٌّ؛ بحيث تُضيِّق على نفسك الزَّمن، وتُضيِّق على نفسك الخطأ وتُقلِّله، وتُكثِّر الفائدة؛ فإذا استطعت فأنت على خير.

وأمَّا ما فيها ممَّا يؤثِّر على الشَّباب والشَّابَّات مِن أصناف ما يُنتجه البشر مِن نافعٍ وضارٍّ ومِن خيرٍ وشَرٍّ ومِن كريمٍ ومِن غير كريم: فهذا لا شكَّ أنَّه مؤثِّر بقوَّة.

والنَّاس الآن يُصنعون عبر وسائل التَّواصل، لا يُصنعون عبر المدارس ولا عبر الجامعات ولا عبر الأُسَر.

فلا بدَّ مِن عناية بهذا الأمر، ووَضْع مناعة ذاتيَّة ومنهج ذاتي مِن الشَّخص كيف يتعامل معه.

الإدمان عليها مُضرٌّ، يجب أنْ يقف كلُّ واحدٍ منَّا مع نفسه وقفة صحيحة، خاصَّة الطُّلَّاب والطَّالبات والَّذين في العمل؛ فيسهر ويترك عمله، فلا يقوم مبكِّرًا، وتفوته صلاته، ويقوم لعمله وهو مُرهَق، وعندما يأتي على طاولة عمله فلا يُنتِج؛ وإنَّما يفتح الهاتف!

فهذا فيه ضَرر..

فإذن لا بدَّ مِن تضييق الضَّرر وتكثير الفائدة، وعماد ذلك: تقليل المُدَّة بحَزْم (سأنظر ساعة أو ساعتين؛ بحسب المواقع – الَّتي يتابعها – أو ما يأتيني مِن رسائل فقط).

فإذا ذهب إلى غيره..؛ فهو يحتاج مِن المُربِّين ومِن الجامعات إلى وَضْع النَّشَرات ووَضْع الرَّسائل ووَضْع التَّطبيقات الَّتي تُزاحم وتكون نافعة.

أعان الله الجميع.

هذا مِن الوسائل الَّتي تُضرُّ بالإسلام والقِيَم والولاء ضررًا كبيرًا.

السُّؤال: ما هي نصيحتكم لشابٍّ أُصيب بلَوثة فكريَّة في عقيدته؟ كيف ننصحه والطَّريق لذلك؟ بارك الله فيكم.

الجواب: التَّأثُّر العَقَديُّ لا تتساهل فيه؛ هناك يقين، وهناك احتمال، هناك مُجمَع عليه، وهناك مُختَلَف فيه.

هناك مَن يقول: (هذا صحيح).

فهل هذا احتمال أَم يقين؟

يقول: هذا احتمال؛ أنا أُرجِّح كذا، أنا أختار كذا، المذهب: كذا.

فما هو اليقينيُّ؟

نحن لا نبحث في الرُّدود، ولا نبحث في العقائد المُفصَّلة؛ كنظرة بدائيَّة في المنهج في تَلَقِّي الخلافات: أين اليقين؟ وأين غير اليقين؟

مثلًا: المباحث الَّتي تتعلَّق بـ(توحيد العبادة): يقول أناس: (لا بأس مِن بناء القِباب ووجود التَّوسُّلات والاستغاثات بالأولياء، حتَّى لو لم توجد في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قال بها مِن العلماء: فلان، وفلان...)!!

إذن هو في كلامه قَسَّم الكلام إلى يقينيٍّ وإلى احتماليٍّ؛ فإذا كان كلام العلماء فنقول: هو احتمال، صحيح أَم غير صحيح: لا نريد أنْ نبحث في الاحتمال.

لكن كمنهج أوَّلي: لا تذهب إلى الاحتمال؛ لأنَّ هناك موت غدًا وأنت على عقيدة غير سليمة!! فعليك أنْ تذهب إلى اليقين؛ فاجعل حياتك بَحْث عن اليقين؛ فاليقين: هو ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وكان في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزمن الخلفاء؛ فهذا ليس فيه جدال.

فأنا لا أريد أنْ أدخل في تفاصيل، هذه التَّفاصيل لا تنفعني؛ ما كان في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان في زمن الصَّحابة سأسير عليه.

قال: صفات الله جَلَّ وَعَلَا لا بدَّ أنْ نؤوِّلها!

متى بدأ التَّأويل؟

صحيح أن التَّأويل بدأ بعد عصر الصَّحابة، لكن العقل يقتضيه!!!

فلماذا لا نكون مثل عصر الصَّحابة في المائة سنة الأُولى؟! لماذا نذهب إلى شيء حدث في المائة الثَّانية، وهو شيء فكري؟!

فإذن الاتِّجاه الأوَّل في التَّفكير لغير المتخصِّص للشَّيء الواحد الَّذي لا يمكن أنْ يتأثَّر: ابحث عن اليقين؛ فاليقين هو الَّذي كان في الزَّمن الأوَّل، في زمن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته.

كذلك في مسائل البِدَع.

كذلك في مسائل العبادات المُحدَثة.

مثلًا: الرَّجبيَّات.

هل هذه الرَّجبيَّات جاءت في الزَّمن الأوَّل أَم أُحدِثت استحسانًا؟

قال: أُحدِثت استحسانًا، لكن هي بدعة حسنة، وفيها...، وفيها...

لنكن في اليقين؛ هذا هو منهج التَّفكير الابتدائيِّ في ذلك لمَن لا يتمكَّن مِن معرفة الصَّواب مِن غيره.

والمواقع كثيرة الَّتي تُوحي بالشُّبهات، وتُوحي بذلك في النَّاس!

ختامًا؛ بِاسمكم جميعًا نشكر معالي الشَّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشَّيخ على حضوره وتشريفه لنا في جامعتنا جامعة المستقبل، جماعة جِدَّة.

وكذلك أشكر حضوركم، وأشكر الزُّملاء والزَّميلات الَّذين عملوا معنا خلف الكواليس.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه السَّاعات المباركة: أنْ يتقبَّل مِن معاليه مجيئه إلينا واقتطاعه جزءًا مِن وقته مِن أجل الجلوس معكم والأُنس بكم.

ونلقاكم في ملتقيات أخرى.

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.